▪ كيف تعلم أن لديك طفل موهوب؟

الأسرة هي العائل الأول والأساسي للطفل، وهي التي يقع على عاتقها اكتشاف موهبته، وغالبًا لا يتوفر لها ذلك، إما لجهل الأسرة بموهبة الطفل، أو عدم فهمها ودرايتها بكيفية رعاية وتنمية تلك الأنواع من المواهب، أو لعدم امتلاكها الخبرة و التدريب الكافي واللازم للتعامل مع موهبة طفلها.

أما عن طرق الكشف عن الموهوبين فهي كثيرة ومتعددة، منها ما هو أكاديمي كمحكات واختبارات علمية مقننة، ومنها ما يستند للملاحظة الدقيقة للطفل، ولكن أيضًا يخضع لرؤى ونظريات علمية، فمن البحوث والدراسات العلمية المتعددة في مجال الموهبة والذكاء، وكذلك من عرض الحالات السابقة نستطيع أن نستخلص بعض صفات وخصائص الطفل الموهوب، ولكن دعونا أولاً نعرف الموهبة والطفل الموهوب.

التراث السيكولوجي عامر وذاخر بتعريفات الموهبة والطفل الموهوب، إلا أن العلماء اختلفوا ما بين تسميتهم بالعباقرة وبالعلماء وبالنابغين والمبتكرين، وربما أطلق عليهم لقب

"فلتات الجيل الأذكياء" وكل تلك الألفاظ تحمل منحى إيجابي، إلا أن هناك بعض الناس ممن يصفهم بالتخلف العقلي وبالشذوذ وربما بالعصابية والخبلان وكذلك عدم الانضباط والاستقرار النفسي، ويتوقف بالطبع التفريق بين التعريفين على درجة قبول الآخر للموهبة وكيفية رؤيته وإدراكه لها، فحكم الشخص المتخصص يختلف عن حكم رجل الشارع، وحكم الأب المتعلم يختلف عن حكم الأب الجاهل وهكذا.

ففي علوم التربية عُرف الطفل الموهوب على أنه (كل طفل يتميز بالتفوق العقلي عن مرحلته العمرية في بعض القدرات التي تجعله مساهمًا عظيمًا وفعالاً في تحقيق الرفاهية للمجتمع، وكذلك فهو الطفل الذي يؤدي الأعمال بكفاءة عالية وبصورة أفضل ممن هم في مثل سنه وبأسلوب يبشر بتحقيق إنجازات وإسهامات عالية في المستقبل).

ومن أهم التعريفات تعريف "سبيرمان" للتفكير الإبداعي للطفل، فقد قال بأنه: (القدرة على إدراك العلاقة بين شيئين بطريقة ما ينبثق عنها ظهور ثالث مخالف لشكليهما الأولين). و يعني كون الموهوب ممتلكًا القدرة على دمج الأفكار بصورة بديعة ليخلق منها فكرة جديدة، فالطفل العبقري تصل نسبة

ذكاؤه إلى ١٤٥ درجة، ويمثل حوالي واحد في الألف من الإحصاءات السكانية العامة كما ذكر الدكتور "عثمان نجاتي"، أما فئة الأذكياء فتتراوح نسبتهم حوالي ٢٪ تقريبًا، وهم يتميزون بالتفوق في التحصيل الدراسي، فقد قال "تورانس" إن الإبداع يعني الإحساس بالمشكلات والقدرة على إيجاد الحلول لها، فكون الطفل يملك تفكيرًا إبداعيًا معناه أنه يملك القدرة على الإحساس بالمشكلة وثغراتها وحلقاتها المفقودة، ثم يلجأ برشاقة إلى تكوين الأفكار ووضع الفروض الخاصة به ليصل لنتيجة جديدة يحل بها تلك المشكلة، ويكون الناتج من وجهة نظر العاديين إبداعًا لا يتماشى مع القدرة المعرفية العامة في مثل سنه.

فقانون التربية المدمجة والسلوك المحسّن الصادر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨١ ينص على أن الطفل الموهوب هو: (الطفل القادر على القيام بإجراءات تعكس قدرة عالية في مجالات الأعمال الذهنية، والإبداع والفن،والقدرات القيادية،أو موضوعات دراسية محددة تتطلب خدمات أو أنشطة لا توفرها المدرسة عادة لتطوير مثل هذه القدرات).

كما إنه على المستوى الطبي التشريحي للدماغ يتميز بثلاث صفات عن الأطفال العاديين:

- زيادة عدد التشعيبات الشوكية.
- زيادة عدد العصبونات وزيادة درجة تعقد الشبكات العصبية في الوحدات العصبية.
- انقسام الخلايا العصبية.

فالموهبة كما تشير "باربارا كلارك" هي (قدرة فطرية، أو استعداد موروث في مجال واحد أو أكثر في مجالات الاستعدادات العقلية والإبداعية والاجتماعية والانفعالية والفنية، وهي أشبه بالمادة الخام التي تحتاج إلى اكتشاف وصقل حتى يمكن أن تبلغ أقصى مدى لها).

بينما يُعرف معجم الطفولة الموهبة على أنها (منحه أو عطية إلهية للفرد يتميز بها عن نظرائه في مستويات الإدراك والذكاء وسرعة ودقة إنجاز نشاط متميز).

▪ سمات وخصائص الطفل الموهوب ؟

علينا أولاً أن نعرف أن السمة هي مفهوم يُستخدم للدلالة على الصفة التي يتصف بها الفرد؛ جسمية كانت أو عقلية أو اجتماعية أو انفعالية، وهي تعبر عن استعداد ثابت لنوع معين من السلوك.

ومفهوم الموهبة يجعل من الطفل كائنًا مختلفاً بصورة كلية عن أقرانه، لذلك نجد أن الأم هي اكثر من يلاحظ بعض علامات الموهبة المبكرة في طفلها، كأن يمتلك القدرة على نطق جملة كاملة في سن مبكرة، وأن يستخدم عددًا كبيرًا من الكلمات، وتتنوع مفرداته دون عن أقرانه في تلك المرحلة العمرية، وقد صنفنا ثلاث عناصر رئيسية تدرج تحتها سمات وخصائص الطفل الموهوب وهي:

١. الخصائص العقلية المعرفية:

يستطيع الطفل الموهوب أن يُبدى فهمًا لبعض الأمور التي تشير لنضج عقلي مبكر، كإجابته على بعض الأسئلة بصورة توضح

أن لديه قدرة كبيرة على الفهم العميق وربط الأمور ببعضها واستخلاص فكرة جديدة مميزة، وكل ذلك بالطبع في سن ما قبل المدرسة، وكذلك قدرته على الملاحظة البيئية لما حوله بصورة تنم عن شغف وبديهة سريعة لا يتمتع بها الأطفال في مثل سنه، ومنها أن يفهم أدوار الكائنات الحية ويسأل عن كيفية خلق الكون ويتأمل فيما حوله من أمور، أو يقوم بأداء أعمال عقلية شديدة الصعوبة، وهي قدرة تُسمى بالقوة،كما نجد لدية القدرة على التحليل والتعميم والتفكير المنطقي وفهم المعاني المركبة، ونجده أسرع من غيره في التعليم، حيث يُبدي حب استطلاع عقلي، و يعتمد على الابتكار والإنشاء في أعماله العقلية، وكذلك ميله لطرح عدد كبير من التساؤلات.

ويستطيع ترتيب ألعابه بصورة تنم عن القدرة على التصنيف والفهم الدقيق للبعد المكاني والزمني، ومن العلامات الأخرى استجابة الأطفال للموسيقى وإظهارهم مقدرة عالية على محاكاة الأصوات والنغمات، وكذلك القدرة العالية والسريعة على الحفظ والتعامل مع الأعداد وتصنيف الألوان.

والطفل الموهوب لدية ذكاء شديد في إدراك العلاقات السببية بين الأشياء، فهو يرى ما لا يستطيع طفل آخر أن يراه، يمتلك

المقدرة العالية على التكيف الاجتماعي نتيجة لكفاءته المبكرة في التواصل اللفظي والكتابي وعمق نظرته للأمور وتطوره السريع في التعلم، حيث يمتلك القدرة على اكتساب العلم أكثر من الأطفال العاديين.

ويتمتع بعدة مهارات في آنٍ واحد، كأن يكون موهوبًا في العلم بجانب هواية أخرى كالرسم والموسيقى أو الألعاب الرياضية أو لديه كفاءة حل الألغاز والألعاب والتراكيب المعقدة التي ربما يعجز الراشد عن فهمها.

الجميل أن الطفل الموهوب لا يقتصر فقط على تلك الصفات السابقة، وإنما نجده سريع الاستجابة قوي الذاكرة، لديه قدرة فائقة على الملاحظة والتجريد وابتكار لعب جديدة من ألعاب قديمة، ذاكرته تتمتع بصفة القدرة على الإلمام بالتفاصيل مع خلفية معرفية قوية يكتسبها سريعًا خلال مراحل التعليم ومن خلال التفاعل الفردي مع الحياة والمواقف.

يفتقد الطفل الموهوب للمرحلة المتوسطة في النقاش عند حل المشكلات، حيث يلجأ دائمًا للنهاية لوضع الحلول بصورة مباشرة.

٢. الخصائص النفسية والاجتماعية :

نجد الطفل الموهوب على علاقة تنافرية مع أقرانه ممن يقلون عنه ذكاء، فهو يدرك الحياة حوله ومتطلباتها بصورة أسرع منهم مما قد يحقق له التواؤم مع المجتمع والتكنولوجيا الحديثة بصورة أكثر إشراقاً، كذلك يملك مستوىً عالٍ من الطموح ويضع تقديرًا عاليًا لمقدرته على الأداء والإنتاجية، إلى حد أنهم – الموهوبين - قد لا يشعرون بعدم النجاح في أي شيء من فرط تطرفهم في عدم تقدير ما ينجزونه، فهم دائمو البحث عن المعرفة الجديدة والميل للأمور الأكثر تعقيدًا التي تلبي طموحاتهم وتشبع لهفتهم العالية للتعلم والاستكشاف.

لديهم سمة الشجاعة وتحمل المسؤولية والمثابرة والقدرة على التحصيل السريع، وكذلك قادرون على التواؤم مع النظرة الاستغرابية الناقدة التي قد يتعرضون لها من الناس على أنهم شواذ، ويمتكلون مرونة عالية بالتفكير والأصالة والقدرة على الإحساس بالمشكلات ووضع حلول لها.

يتمتعون بدرجة عالية من التهذيب ويرفضون السلطة ويمتلكون حس من الدعابة واللطافة.

قادرون على مقاومة كافة الضغوط الاجتماعية، وكلما زاد العمر بهم كلما تطورت لديهم تلك القدرة حتى مراحل العمر المتقدمة، لديهم ميل للمغامرة والانجذاب نحو الأمور الغامضة والأعمال المعقدة التي تحتمل أكثر من تفسير، يشعرون بالملل من الروتين والقيود الاجتماعية والبطء في استجابة الآخرين.

متمردون على الواقع المحيط الذي لا يوفر لهم متطلبات نموهم الخاصة وإظهار موهبتهم، فهم في حاجة إلى إظهار الإبداع لما يتمتعون به من قيم جمالية وفاعلية في تجسيد الفكرة على أرض الواقع مهما بدت صعوبتها وغرابتها للآخرين، فالطفل الموهوب واسع الحيلة يملك رقعة واسعة من التأثير في الآخرين، يرغب بصورة دائمة في فرض إرادته، يتسم بالإقدام وعدم التردد والميل لمحبة الناس وصداقتهم، وكذلك فهم يتمتعون بالمرح وروح الفكاهة

سلوكياتهم تتصف بعدم نمطية الدور فالأنثى تخالف نمط السلوك الأنثوي المتعارف عليه، وكذلك الذكر، قدرتهم على التحكيم عالية وحصيلتهم الجمالية مرتفعة جدًا، يطلبون دائمًا البيئات المدعمة لهم وقد يجاهدون في الحصول على البيئة التي تقدم لهم إشباعًا للمعرفة، مما يُعد تحديًا للأسرة في بعض

الأحيان لعدم تقديرها لرغبة إثبات طفلها الموهوب ذاته، فالموهوبون يكرهون الروتين والقيود الاجتماعية التي تحد من تطورهم السريع نحو أهدافهم ويجاهدون لكسرها.

كما أنهم لا يُطلقون أحكامًا عشوائية وإنما يلزمهم وقتٌ كافٍ للتفكير، فرؤيتهم للأمور كأنهم ينظرون بميكروسكوب إليكتروني بالنسبة للعين المجردة، إذ يرون العالم بمنظار يختلف تمامًا عن المنظار الذي يرى به الطفل العادي الدنيا.

كما يتمتعون؛ على المستوى الشخصي والاجتماعي؛ بالقدرة على نقد الذات وتوجيه الأفعال نحو الصواب مع الميل لتكوين علاقات مع الأكبر منهم سنًا ممن يكافئون قدرته العقلية.
لديهم النزعة القيادية والقدرة على التحكم العالي في الأمور بصورة إيجابية، ويميلون لاتخاذ القرار بحياتهم، فهم حساسون جدًا لما يريدون وكذلك لبيئتهم المحيطة وما يتوقعون منها، وكذلك فهم يتسمون بالثبات الانفعالي والمثابرة، وكذلك ثبات الجهد والبحث عن النجاح والرغبة العالية في التفوق، فهم يتصفون بصحة تقديرهم لذواتهم ولموهبتهم دون إفراط.

٣. الخصائص الجسمية للطفل الموهوب :

الأطفال الموهوبون ترتفع لديهم مستويات الصحة العامة عن الأطفال الآخرين، فهم يستطيعون المشي والكلام بصورة مبكرة عن الطفل العادي، ونجد أنهم يميلون لأن يكونوا:

- أكثر طولاً وأقوى صحة وجسمًا، ويتغذون جيدًا.
- أثقل وزنًا نوعًا ما عن نظرائهم من الأطفال.
- متقدمين قليلاً عن أقرانهم في تطور العظام.
- نضجهم الجسمي يتم مبكرًا بالنسبة لسنهم.
- خالين نسبيًا من الاضطرابات العصبية.

فغالبًا ما يتسم الأطفال والشباب الموهوبين بصحة بدنية عالية، وقوة وطاقة جسمية مرتفعة تؤهله للقيام بالعديد من الأنشطة والرياضة، غير أن ذلك لا يعني أن لا يوجد من بينهم المعاقون حركيًا أو عضويًا، وعادة ما تفسر مثل تلك الظواهر الإبداعية لدى هؤلاء المعاقين بالمواهب التعويضية.

وبالطبع لا يجب توافر كل تلك الصفات السابقة بالطفل الموهوب،أي أن الأمر ليس شَرطيًا، ولكن على الأقل يتوفر لديه عدد كبير منها، فالأطفال الموهوبون ليسوا جميعًا على وتيرة

واحدة في القدرات والاهتمامات، بل يختلفون عن بعضهم البعض، شأنهم في ذلك شأن الأطفال العاديين، فمنهم من يمتلك خصائص وقدرات عقلية عالية في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفنية والتقنية، ومنهم من يتميز ببعض هذه الخصائص والميزات فقط، فيكون موهوبًا ومبدعًا في لون واحد أو اثنين من ألوان النشاط أو مظاهر الإبداع.

الدراسات لا زالت إلى يومنا هذا تهتم بخصائص الطفل الموهوب ليتسنَ لنا التعرف على هؤلاء الأطفال ورعايتهم، فهم بذرة جيل جديد يضمن مستقبل لائق للبشرية، لذا تم تصنيف الأطفال الموهوبين لفئات محددة، سنعرضها لنيسر على الآباء والأمهات التعرف على موهبة أبنائهم

- **فئات تصنيف الموهوبين :**

١. الموهوبون بصفة عامة في كل شيء.
٢. الموهوبون عقليًا والمتفوقون في التحصيل الدراسي.
٣. الموهوبون في الموسيقى.
٤. الموهوبون في الآداب والإبداع الأدبي.
٥. الموهوبون في الرياضيات والأعمال الميكانيكية.
٦. الموهوبون في الفنون كالرسم والتمثيل والفنون التشكيلية.
٧. الموهوبون في القيادة،أصحاب الحس العالي والقدرة على الزعامة.

▪ طرق الكشف عن الأطفال الموهوبين

• في مرحلة ما قبل المدرسة :

تستطيع الأم التعرف على الطفل الموهوب بالملاحظة اليومية الحية لطفلها ولتطوره، مع إلمامها بصفات النمو العقلية التي يخطو بها الطفل في تلك المرحلة؛ كما ذكرنا سابقاً؛ في أن يميل الطفل للمراقبة مع توجيه نظره أو سمعه لشيء محدد، رغبته العارمة في أن تقرأ والدته له أو قدرته الفائقة على التخيل واختلاق وسرد الحكايات،أو نطقه لجملة كاملة في مرحلة مبكرة وتطوره اللغوي السريع وطبيعة لعبه وانتقاؤه للألعاب، وما إلى ذلك من صفات.

فعندما يلاحظ الأبوان تلك الإشارات الأولية التي يُبديها الطفل عليهما أن يتأكدا من موهبته بالذهاب إلى أحد الأخصائيين المهتمين بالموهبة "أخصائي نفسي" حتى يقوم بإجراء الاختبارات وتطبيق المقاييس والفحوص النفسية المناسبة للطفل، وآنذاك تتوفر لدى الوالدين قاعدة ثابتة من البيانات والتي تمكنهما من اتخاذ قرار إدراج الطفل مبكرًا بالروضة، أو تقديم الإثراء التعليمي المناسب له، كما أن تلك الاختبارات قد

تساعد في الكشف عن مواطن الضعف المختبئة خلف الموهبة ولا يدرى عنها الوالدين شيئًا فيتم علاجها مبكرًا، مما يصقل شخصية الطفل ويطورها.

ومن تلك الاختبارات والمقاييس:
الصورة المعدلة لمقياس "وكسلر" لذكاء أطفال ما قبل المدرسة وأطفال المرحلة الابتدائية، ومقياس "ستانفورد بينيه" للذكاء "الصورة ل - م" الذي يمكن استخدامه عندما يتخطى ذكاء الطفل حدود مقياس "وكسلر".

وعند شعور الوالدين وتأكدهما من نتائج الاختبارات، أن طفلها بالفعل طفل موهوب، عليهما أن يُبكرا بدخول الطفل الحضانة مع انتقاء حضانة توفر له المناخ اللازم لنمو وتطور تلك الموهبة، كأن تتوفر فيها بعض الصفات الضرورية كالدفء وثبات العاملين فيها، وتوفر مناخ الألفة والمحبة والعمل على تنمية مدارك الطفل بتوفير الآليات اللازمة بتحدي موهبته لنساعده على تفجرها، كأن نوفر فرص للاستكشاف والقراءة واللعب المبدع، ونسمح للطفل بممارسة الحاسة التي نسميها خطأ في أعرافنا بـ"التخريبية" كحالة "أسامة" الذي كان يعبث بجميع أجهزة المنزل ليفهم طبيعة عملها. "أسامة" هنا كان

يميل للاستكشاف، بينما والدته ترى أنه يميل للتخريب، وكان يمكن حل الأزمة بإدراج الطفل بإحدى الورش المعنية بتنمية موهبة الاستكشاف والاختراع لدى الطفل، أو إلحاقه بإحدى المراكز المتخصصة في هذا النوع من الأنشطة؛ إن توفر.

كذلك من ضمن الصفات الضرورية التي يجب توفرها في الحضانة قدرتها على تعليم الطفل الاستقلالية والاختيار والتفاعل الاجتماعي والتفكير المنظم، وإعداد الطفل للدراسة الأكاديمية وزرع حب القراءة والكتابة فيه.

فإذا توفرت هذه المحكات بالحضانة بذلك نضمن أن ترعى موهبة الطفل وتنميها وتعده لمرحلة تالية.

- **مرحلة المدرسة :**

للكشف عن الطفل الموهوب تم وضع مجموعة من المحددات والصفات التي يجب أن تتوفر فيه دون الآخرين في مثل سنه، لذا فهناك بعض المحكّات التي يجب أن يخضع لها الطفل ليحمل صفة الموهبة، منها الاختبارين السابقين، وكذلك إذا كان الطفل يتمكن من القراءة والكتابة يمكن أن يخضع لبعض

المقاييس والاختبارات التحريرية والشفوية، وتُسمى تلك الاختبارات بالاختبارات التحصيلية.

كذلك يمكن استخدام اختبارات الإبداع والابتكارية لنفس الغرض،وبالنسبة للمواهب الحس حركية والفنون الأدائية كالرقص والغناء وكذلك الآداب وفنون الرسم والكتابة القصصية والشعرية، فإنتاج الطفل هو أقوى دليل على موهبته، ويتم ذلك بالملاحظة الدورية وتقييم الطفل بصورة منفردة ومقارنته بسابق ما كان عليه لندرك مدى وسرعة التطور. كذلك يمكن مراجعة معلميه للتأكد من صفاته الاجتماعية والنفسية بالمدرسة مع أقرانه، وكذلك صفة القيادة والاندماج في الدور الاجتماعي المطلوب منه.

وقد ضع العلماء مجموعة من الطرق والأساليب والمؤشرات التي تساعد في الكشف عن الموهوبين ومن تلك المؤشرات :

١. ارتفاع مستواهم في التحصيل الأكاديمي والمدرسي بصورة ملفتة للأنظار.

٢. تمتعهم بمستوى مرتفع في المهارات الميكانيكية التي تؤهلهم لبعض الاختراعات.

٣. تمتعهم بمستوى مرتفع للاستعداد العلمي وشغفهم بالاستكشاف.

٤. ظهور موهبة مميزة في الفن أو إحدى الحرف.

٥. إثبات قدرتهم المرتفعة على القيادة.

ويشير "د. صالح المهدي الحويج" إلى بعض الطرق التي نكشف بها عن الموهبة في مرحلة المدرسة مثل:

١. الملاحظة:

على المعلمين ملاحظة ورصد درجات الطفل واستجاباته وردود أفعاله وطبيعة حواراته مع معلميه ومع أقرانه للكشف عن موهبته، وكذلك عليهم تحفيز كافة الأطفال على المشاركة في النقاش للتعرف على الموهوب الصامت الخجول، وأن يفسحوا المجال للطلاب للإفصاح عن مواهبهم من خلال المقابلات الشخصية بين الطالب وبين الأخصائي النفسي بالمدرسة.

٢. المسابقات والمعارض الفنية:

تُعتبر المسابقات من الوسائل التقليدية للتعرف على الموهوبين

والعمل على رعايتهم فيما بعد، وكذلك إقامة المعارض الفنية التي تهتم بالفنون الأدائية والتشكيلية وخلافه، وكذلك إقامة مسابقات الأدب وكتابة القصة والنثر والشعر لتشجيع الأطفال على الإفصاح عن مواهبهم مع وضع جوائز تقديرية وتشجيعية تحفزهم للاشتراك.

٣. الاختبارات والمقاييس النفسية:

تُعد الاختبارات والمقاييس النفسية من الأدوات الموضوعية التي يلجأ إليها الباحثون والأخصائيون النفسيون في قياس القدرات العامة/الذكاء والقدرات الخاصة: كالقدرة العددية والقدرة اللفظية، كما أن اختبارات قدرات التفكير الابتكاري من الأساليب الشائعة الآن في اكتشاف الموهوبين من الأطفال والمراهقين والشباب، ولعل من أشهر تلك الاختبارات اختبار "تورانس" للتفكير الابتكاري.